الصمت . وكان هذا الصمت بالغاً حتى ظنوا أن سكانها قد ماتوا أو لاذوا بالفرار . وكانت الكتلة الرئيسية من الجيش الروسي قد باشرت أعمال الحصار بينما كانت سرايا من الستريلتسي حملة القربينات تندفع في الداخل للاستطلاع . ومرت فترة انتظار ربما كانت أكثر إقلاقاً داخل القلعة مما كانت في الخارج . وكان نصف مقاتلي التتر مستعدين لإطاعة الإشارة التي تأمرهم بالخروج وهم مؤلفون من خمسة عشر ألفاً من الرجال ذوي العضلات المفتولة التي وترها الخوف والتصميم على الموت، أعصابهم مشدودة ويقفون وراء أبواب الحصن الحديدية السميكة ، وفجأة انفتحت هذه الأبواب وكانها تنين مخيف واندفعت جماهير التتر تحمل في أيديها سيوفها المعقوفة وتطلق صرخاتها المرعبة لا يشكل فيها المشاة والفرسان الا كتلة متراصة واحدة . أما حملة القربينات من الروس فقد نالهم الذعر والهول وطاش صوابهم من مفاجأة الهجوم ومن صراخ العدو وما هو على وجوه رجاله من تكشير وتصميم على القتال ، فلاذوا بالفرار حالاً وما لبثت الشوارع أن أصبحت بدمائهم جدولاً احمر دون أن يقاوموا حتى غدوا خارج المدينة ، وعندما اصبحوا هناك كادوا ينشرون الذعر في صفوف الجيش لولا شجاعة الشباب من الأمراء والبويار الذين كانوا صفوف ضباط وملازمين في ذلك العصر . فقد أعاد هؤلاء النبلاء لم الشمل في صفوف الستريلتسي Strieltsi الذين ضربهم الرعب وجرت معركة مواجهة مخططة حسب العادات القديمة تحت اسوار قازان . وارتمت آلاف النبال التترية من فوق الأسوار على كتل الروس المترصة . ولكن حمية المسلمين ما لبثت أن نفدت شيئاً فشيئاً وعاد المحاصرون إلى حصنهم وتبعهم الروس والقوا القبض على عدد من الأسرى . وكان القوم في كلا المعسكرين يتبادلون التهاني بمفاخر هـذا اليوم .

واعتبر هذا الالتحام كافياً بالنسبة لليوم الأول من القتال وانصرف الروس الى إتمام الحصار الكامل على المدينة. وكان الليل هادئاً. أما في اليوم التالي فقد انفجرت عاصفة عنيفة وبدا كأن الله لم يكن الى جانب الروس.